

الوصية

من مرضي
من السرير الأبيض
من جاري انهار على فراشه وحشرجا
بمض من زجاجة أنفاسه المصقرة
من حلمي الذي يمد لي طريقه للمقبرة
و القمر المريض و الدجى
أكتبها وصية لزوجتي المنتظرة
و طفلي الصارخ في زقاده أبي أبي
تلثم في حروفها من عمري المعذب
لو أن عوليس وقد عاد إلى دياره
صاحت به الآلهة الحاقدة المدمرة
أن ينشر الشراع، أن يضل في بحاره
دون يقين، أن يعود في غد لداره
ما خصته النذير و الهواجس
كما تخض نفسي الهواجس المبعثرة
اليوم ما على الضمير من حياء حارس
أخاف من ضبابه صفراء
تنبع من دمائي
تلثني فما أرى على المدى سواها
أكاد من ذلك لا أراها
يقص جسمي الذليل مبضع
كأنه يقص طينة بدون ماء
و لا أحس غير هبة من النسيم ترفع
من طرف الستائر الضباب
ليقطر الظلام، لست أسمع

سوى رعودٍ رنَّ في اليباب
منها صدى و ذابَ في الهواء
أخاف من ضبابٍ صفراء
أخافُ أن أزلقَ من غيبوبةِ التخدير
إلى بحارٍ ما لها من مرسى
و ما استطاعَ سندبادُ حينَ أمسى
فيهنَّ أن يعودَ للعودِ وللشرابِ والزهور
صباحُها ظلام
و ليُلهَا من صخرةِ سوداء
من ظلِّ غيبوتي المسحور
إلى دجى الحمام
ليسَ سوى انتقالِ الهواء
من رئةٍ تغفو إلى الفضاء
أخافُ أن أحسَّ بالمبضعِ حينَ يجرحُ
فأستغيثُ صامتَ النداء
أصبحَ لا يرُدُّ لي عوائي
سوى دمٍ من الوريدِ ينضحُ
و كيفَ لو أفقتُ من رقادي المخدَّرِ
على صدى الصُّورِ، على القيامةِ الصغيرةِ
يحملُ كلُّ ميِّتٍ ضميره
يشعُّ خلفَ الكفنِ المدنَّرِ
يسوقُ عزرائيلُ من جموعنا الصنفرِ إلى جزيرةِ
قاحلةٍ يقهقهةُ الجليدُ فيها
يصفرُّ الهواءُ في عظامنا ويبيكي
ماذا لو أنَّ الموتَ ليسَ بعدةٍ من صحوةِ
فهو ظلامٌ، عدَمٌ، ما فيه من حسنٍ و لا شعور
أكلُ ذاكِ الأنسِ، تلكِ الشقوةِ

و الطمع الحافر في الضمير
و الأمل الخالق من توثب الصغير
ألف أبي زيد تفور الرغوة
من خيله الحمراء كالهجير؟
أكلها هذه النهاية
ترى الحمام للحياة غاية؟
إقبال يا زوجتي الحبيبة
لا تعذليني! ما المنايا بيدي
ولست لو نجوت بالمخلد
كوني لغيلان رضى وطيه
كوني له أباً و أمماً و ارحمي نحيبه
وعلميه أن يذيل القلب لليتيم والفقير
و علميه
ظلمة النعاس
أهدأها تمس من عيوي الغريبة
في البلد الغريب في سريري
فترفع اللهب عن ضميري
لا تحزني إن مُتُّ أيّ باس
أن يُحطّم الناي و يبقى الحنّة حتى غدي
لا تبعدي
لا تبعدي
لا